

الفصل: الرابع

وحدة: النظريات الاقتصادية

الأستاذ: حميد بنسي

المحاضرة رقم: 6

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2020-2021
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة: النظريات الاقتصادية
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: حميد بنسي
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 6

← المرحلة الثانية : مرحلة الاقتصاد كعلم:

يمكن التأريخ لظهور الاقتصاد كعلم قائم الذات بإصدار آدم سميث لمؤلفه الشهير " **أبحاث في طبيعة و ثورة الأمم** ". لكن يمكن إرجاع الفضل في بداية مرحلة الاقتصاد العلمي إلى المدرسة الفيزيوقراطية التي عمدت إلى فصل الاقتصاد عن الأخلاقيات و الفلسفة، و كذا عن السياسة **العملية** التي ظل مرتبطا بها خلال مرحلة الماركنتيلية.

المدرسة الفيزيوقراطية : التيار الطبيعي

ظهرت مدرسة الطبيعيين في فرنسا في منتصف القرن الثامن عشر في وقت نشطت فيه الحياة الفكرية في أوروبا، و نمت فيها المدن، و ازدادت الثروة، و سهل السفر في عالم أكبر، و تقدمت العلوم: كالعلوم الطبيعية والكيمياء و الفلك وغيرها من العلوم الاجتماعية و الإنسانية (دوران الأرض حول الشمس - اكتشاف هارفي للدورة الدموية - نظرية نيوتن حول الجاذبية والحركة). وفي ظل هذه المعطيات والتحولت الفكرية الواسعة التي عرفها العالم الأوربي ظهر التيار الفيزيوقراطي وتأثر تأثرا بالغا بهذه النزعة العلمية.

شكل عهد الفيزيوقراط مرحلة التأسيس الحقيقي لعلم الاقتصاد، حيث عمد رواده إلى إخضاع الاقتصاد للقوانين الطبيعية، و تبنا مبادئ الحرية الاقتصادية خلافا للنهج التدخلي للمركنتيليين.

من أشهر رواد هذا التيار يمكن أن نذكر:

- فرانسوا كيناي (F. Quesnay)

- دونمورا (Denemour)

- تيرجو (Turgot)

- ميرابو (Mirabeau)

قدم هؤلاء الرواد نظريتهم الاقتصادية بناءً على:

تشبيه العلاقات الاقتصادية للأفراد داخل المجتمع بالعلاقات التي تحصل بين الأعضاء المكونة للجسم الإنساني.

لخص الطبيعيون أفكارهم في ما يلي :

الظواهر الطبيعية مثل الظواهر البيولوجية والطبيعية، تخضع لقوانين لا دخل لإرادة الإنسان فيها، هذه القوانين الطبيعية تقوم بتنظيم الحياة الاقتصادية على مبدئين هما :

◀ **المنفعة الشخصية:** إذ تمثل الحافز والقوة الدافعة لمزاولة النشاط الاقتصادي، و قد لخص **كيناي** هذه الفكرة بقوله: "إن كل فرد يسعى للحصول على أكبر زيادة ممكنة من التمتع في مقابل أقل ألم ممكن، والفرد حينما يسعى لمصلحته، يحقق مصلحة الجميع في نفس الوقت " .

◀ **مبدأ المنافسة:** فكل فرد يسعى لتحقيق منافعه الشخصية يدخل في تنافس مع باقي أفراد المجتمع.

هذان المبدآن هما اللذان ينظمان القوانين الطبيعية و من خلالها الحياة الاقتصادية.

الملامح الأساسية للفيزيوقراطية

يمكن إيجاز بعض الملامح الأساسية للتيار الاقتصادي الفيزيوقراطي في النقاط التالية:

1- الأرض هي المصدر الوحيد للثروة:

الزراعة هي القطاع المنتج الوحيد الذي يمكنه إنتاج "القيمة المضافة" أو "الناتج الصافي". و ما سواها "التجارة و الصناعة"، فهي قطاعات عقيمة ليست قادرة على خلق و إعطاء قيمة مضافة جديدة للنشاط الاقتصادي، بحيث يقتصر عمل التجار والصناع، على تحويل المواد التي كانت موجودة من قبل، وبالتالي فإن المذهب الفيزيوقراطي يتعاطف مع أهل الزراعة الذين عانوا الكثير من جراء العناية التي حظيت بها التجارة و الصناعة في ظل المذهب التجاري.

بصيغة أخرى، فإن الزراعة هي النشاط الوحيد الذي منح للإنسان أكثر إنتاج من الصناعة و التجارة. و الربح الصافي هو الفرق بين ما ينفق للحصول على سلعة في الميدان الزراعي و بين ما تنتجه الأرض، أي ما تمنحه من خيارات للإنسان. وبالتالي يؤدي تضافر جهود الإنسان مع عمل الطبيعة إلى نشوء قيمة جديدة و هي "الناتج الصافي" .

2- النظام الطبيعي هو أجدى نظام لسير الحياة الاقتصادية:

يتجسد محتوى هذا النظام في الملكية و الحرية و الأمن، ويمكن تعريفه بالنظام المثالي الذي يحقق توافقاً بين المصالح المتعددة في الحياة الاقتصادية، و يؤمن الملكية الفردية و الحرية الاقتصادية، و من ثم تحقيق الرخاء للجماعة

3- الجدول الاقتصادي أو الدورة الاقتصادية هو خلاصة إسهام المدرسة الطبيعية:

يبين هذا الجدول الكيفية التي يتم بها توزيع الناتج الصافي بين طبقات المجتمع المتمثلة في: طبقة المنتجين ، طبقة الملاك ، ثم الطبقة العقيمة (التجار و الصناع)، و ذلك من خلال تشبيهه **فرنسوا كيناي** لتداول المنتجات في الجسد الاقتصادي للبلد، بتداول ودوران الدم في جسم الإنساني.

و يتم تلخيص الدورة الاقتصادية كما كان يراها فرنسوا كيناي على الشكل التالي:

قبل التطرق للدورة الاقتصادية، سنحاول الوقوف على التعريف بـ فرنسوا كيناي (1694-1774م) ، يعتبر الأب الروحي للفكر الطبيعي، وهو طبيب فرنسي (طبيب لويس الخامس عشر). يعتبره البعض مؤسس اتجاه الحركة الفكرية الاقتصادية الطبيعية في القرن 18، له العديد من الإسهامات في الفكر الاقتصادي لعل أشهرها على الإطلاق فكرة الجدول الاقتصادي (1758) والناتج الصافي، كما أن كيناي اعتقد اعتقاداً راسخاً بأن النشاط الزراعي (الأرض) هو المنتج الوحيد للثروة. لقد اعتبره الكثير من الاقتصاديين (ماركس) و (شمبيتر) مؤسساً للاقتصاد المعاصر نظراً لإسهاماته الكبيرة في الاقتصاد ، والخروج به من مجرد فلسفة لاهوتية إلى جوانب علمية أسست لقيام علم الاقتصاد الحديث، كما أسهم كيناي في تحديد مفاهيم رأس المال وقسمه إلى ثلاثة أجزاء هي:

- **رأس المال المادي:** وهو السلعة المنتجة،

- **رأس المال المستخدم:** الذي يدخل في العملية الإنتاجية،

- **رأس المال المتداول:** منه ما يتم إنفاقه على المواد الأولية.

وبعد هذه النبذة المختصرة ، سنعود لإعطاء تلخيص للدورة الاقتصادية بين طبقات البلد كما يراها كيناي وأتباعه،

◀ **الطبقة المنتجة (المزارعون) :** الناتج الصافي الذي يحصل عليه المزارعون، يعطون جزءا من قيمته لملاك الأراضي الزراعية (طبقة الملاك) في مقابل استخدامهم لأراضيهم، و يحتفظ المزارعون بالباقي.

◀ **طبقة الملاك :** ينفق الملاك ما حصلوا عليه من المزارعين (الطبقة المنتجة)، بعضه للحصول على ما يلزمهم من منتجات المزارعين (الطبقة المنتجة) و بعضه الآخر للحصول على ما يلزمهم من التجار و الصناع (الطبقة العقيمة).

◀ **الطبقة العقيمة :** يتلقون من المزارعين جزءا من دخلهم (يشترى به المزارعون ما يلزمهم من هؤلاء التجار والصناع) و هكذا يؤمن للتجار والصناع الدخل من مصدرين: الملاك و المزارعين. لكن التجار و الصناع ينفقون هذا الدخل لدى المزارعين للحصول على ما يحتاجون إليه من منتجات غذائية و المواد الأولية لنشاطهم الاقتصادي.

إذا تأملنا هذا التصور، نلاحظ أن كل الدخل يؤول في النهاية بعد أن يتم دورته في الجسد الاقتصادي إلى المزارعين ، فالدورة تبدأ من المزارعين و تنتهي بالمزارعين، و على هذا الأساس، فالزراعة هي العامل الرئيسي في هذا النشاط الاقتصادي، فالجدول الاقتصادي إذا يمثل الإيرادات و المصروفات في سنة ما، و هو يتكون من ثلاثة أعمدة و هي :

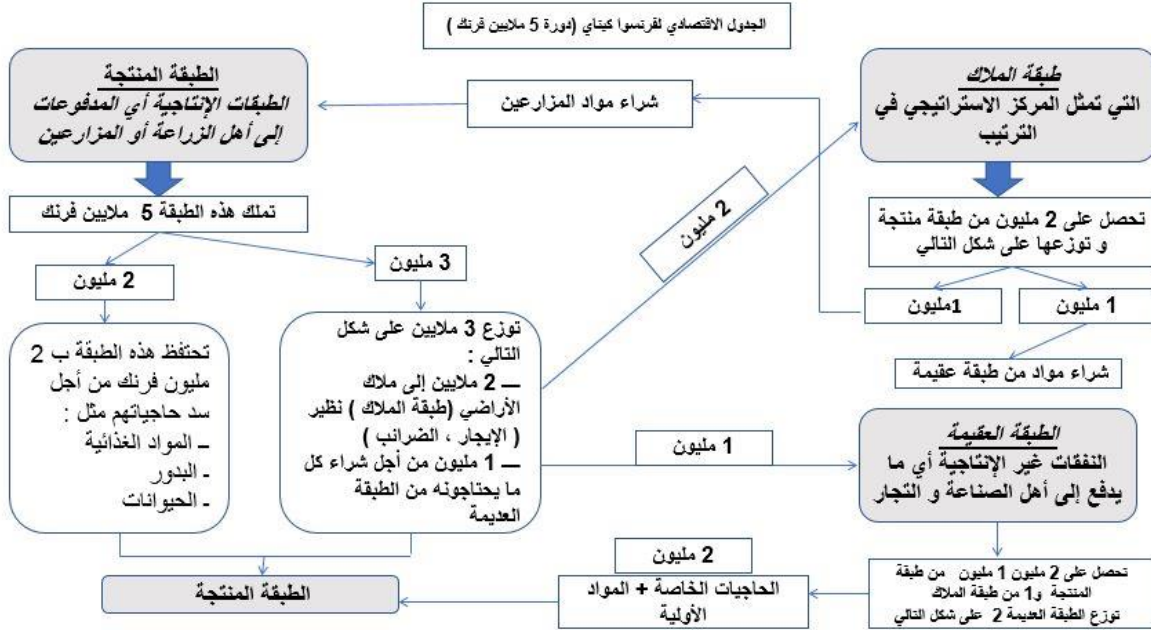
↔ **العمود الأول :** طبقة الملاك التي تمثل المركز الإستراتيجي من حيث الترتيب.

↔ **العمود الثاني :** الطبقة المنتجة أي الطبقات الإنتاجية أي المدفوعات إلى أهل الزراعة أو

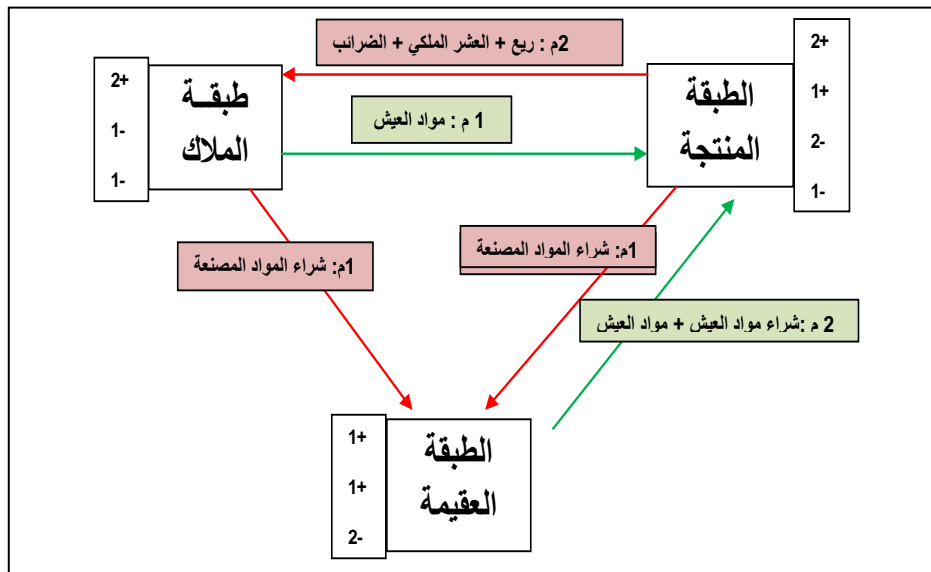
المزارعين.

↔ **العمود الثالث :** الطبقة العقيمة ، النفقات غير الزراعية أي ما يدفع إلى أهل الصناعة و

التجارة



رسم تبسيطي للجدول الاقتصادي: اعتبار 5 مليون فرنك تسيقات سنوية 2 م فرنك لإعادة الإنتاج وتمويل الطبقة المنتجة. أما 3 ملايين فرنك تدور في الجسد الاقتصادي.



من خلال هذين الرسمين التوضيحين فإن النتيجة النهائية هي: أن الناتج الصافي يعود إلى المزارع بعد أن يدور دورته في الهيكل الاقتصادي فيبعث فيه الحياة، شأنه في ذلك شأن الدورة الدموية في الجسم، وعلاوة على دقة التحليل وشمول النظرة للتدفقات الاقتصادية فإن الجدول الاقتصادي يضمن فكرة أساسية هي فكرة الدورة الاقتصادية.

4 - نظرية الضريبة :

كان من الطبيعي أن تفرض الضريبة على الإنتاج الصافي ، ولما كان الإنتاج الصافي في رأي الفيزيوقراطيين هو الإنتاج الزراعي، فيجب أن تفرض ضريبة واحدة على المزارعين، ذلك لأن فرض الضرائب على التجار و الصناع سينتج عنه نقل أعباء الضرائب إلى المزارعين عن طريق بيع المنتجات لهم بمقدار الضريبة، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للملاك، إذا فرضت الضريبة عليهم سينتج عنه رفع الثمن الذي يتقاضونه من المزارع على استخدام الأرض.

← **النتيجة** [إن المزارعين هم الذين يتحملون الضريبة في نهاية المطاف، و توفيراً لجهد الدولة يجب أن يقتصر الأمر على ضريبة واحدة تفرض على المزارعين]

السياسة الاقتصادية للفيزيوقراطيين:

تتركز السياسة الاقتصادية للفيزيوقراط على 3 محاور أساسية

- 1 - : سياسة اللبرالية (دعه يعمل دعه يمر)
- 2 - سياسة تركيز على الإنتاج الزراعي من أجل الرفع من الإنتاج الصافي.
- 3 - سياسة الضريبة الواحدة التي يتوجب أن تمس القطاع الفلاحي فقط.

استنتاج : [بالرغم من السلبيات التي طبعت الفكر الفيزيوقراطي (مفهوم ضيق للإنتاج - الضريبة الواحدة - إخضاع الاقتصاد السياسي للقوانين الطبيعة) فقد ساهم هذا الفكر بجدية في إستقلالية وتطور علم الاقتصاد]

تقييم المذهب الفيزيوقراطي :**- الإيجابيات (الإسهامات)**

← أصبح علم الاقتصاد علماً مستقلاً له مكانته بين العلوم الاجتماعية بفضل رواد التيار الطبيعي الذين فصلوا الاقتصاد عن الفلسفة و تعاليم الدين، و أدركوا أن الثروة و الإنتاج و توزيع الناتج الكلي و تداوله بين الطبقات

المختلفة يعتبر مشكلات اقتصادية يمكن أن تدرس بطريقة علمية. و لهذا يعتبر بعض الدارسين أن فرنسوا كيناي هو أبا الاقتصاد السياسي وليس آدم سميث.

◀ أعطيت أهمية للنقود، بحيث لم تعد هي الثروة كما كانت في نظر التجارين، بل أصبحت أهميتها تأتي من كونها تتدخل في عملية الإنتاج.

◀ الطبيعيون أول من أعطوا صورة لتداول الثروة داخل الجماعة و كيفية توزيعها.

- عيوب مذهب الطبيعيين : إلى جانب المزايا توجد عدة عيوب لدى رواد التيار الاقتصادي الطبيعي

نذكر منها:

◀ لا يمكن التسليم بأن العمل الوحيد المنتج هو الزراعة، فالإنتاج هو خلق **منفعة جديدة** أو خلق **زيادة في منفعة** هي كل إشباع لحاجة إنسانية. وعلى هذا فالصناعة و التجارة من الأعمال المنتجة التي تخلق **منافع جديدة** أو **تزيد من المنافع الموجودة** تشبع حاجيات الأفراد. إذا فاعتبار الزراعة هي المنتج الوحيد خطأ.

◀ ترتب عن خطأ أفكارهم على الإنتاج أن نادوا بفرض ضريبة واحدة، وترتب هذا الخطأ على خطأ أول، لماذا؟ لأن الصناعة و التجارة تخلفان ناتجا صافيا كالزراعة، ولهذا يجب أن تفرض الضريبة على إنتاجهما الصافي.

الظواهر الاقتصادية لا تخضع لقوانين ثابتة أو مطلقة كتلك التي تخيلها الطبيعيون، فالظاهرة الاقتصادية تتغير و تتطور وتتغير معها القوانين التي تحكمها، بحيث أن القوانين التي تحكم الظواهر الاقتصادية في المجتمع الإقطاعي تختلف عن القوانين التي تحكم الظواهر الاقتصادية في مجتمع صناعي.

◀ اعتقد الطبيعيون أن القوانين الطبيعية مادامت من خلق الله ، فإن انطباقها لا يسبب المتاعب الاقتصادية. وطبقا لهذا الرأي تركت المنافسة الكاملة حرة من كل قيد، ومع هذا لم يعيش كل أفراد المجتمع سعداء ودون متاعب اقتصادية.

حظ موفق للجميع